أفعال الكلام في قصص المكائد
دراسة في نماذج مختارة
Speech verbs in stories of intrigue
Study in selected models

حسين طارش فنجان(*)

Mohamadrza457@gmil.com

مقدمة

تُعدُّ التداوليّة نظاماً معرفيّاً جديداً في حقل الدراسات اللسانيّة، والإنسانيّة؛ إذ إنَّها تختص بدراسة علاقة النشاط اللغُويّ بمستعمليه وبهذا يكون تعريف للتداوليّة دراسة اللغة مستعملة وجارية بين المتخاطبيّن في مقابل دراسة الأنظمة اللسانيّة التي هي مشمولات علم اللسان ، ’ذ بدأت التداوليّة أول الأمر عندما ألقى (أوستن) عدداً من المحاضرات عام ١٩٥٥م في جامعة هارفرد و، خرجت لاحقاً في كتاب (كيف نفعل الأشياء بالكلمات) مُنظراً لأفعال الكلام ثم تابع طرحه تلميذه (سيرل) ذلك؛ إذ تعدّدت تعاريفه للتداوليّة نتيجةً لهذا المشروع التداولي الضخم ومن الصعب صياغة تعريف جامع شامل، فهناك تعريف أتى به (أ.م. ديلر، وف. ريكاناتي) والتداوليّة عندهما تمثل دراسة تهتم باللغة في الخطاب، وتنظر في الوسيمات الخاصة به، قصد تأكيد طابعه التخاطبي، وتعريف آخر أتى به (ف. جاك) والتداوليّة عنده دراسة اللغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية، فالتداوليّة هي دراسة اللغة، وتركيزها على المستعملين وسياق استعمال اللغة. أمّا التسميات العربية للتداوليّة البراغماتية، التداوليّة، النفعية، الذرائعية، السياقية، الوظيفية، المقامية، التخاطبية، علم المقاصد، البراجماتية، علم التداول الأفعالية، البراغماتزم، وعلم التخاطب، والدراسة الاستعمالية.

الكلمات المفتاحية: أفعال الكلام، خطاب التخييّل، الأفعال الإنجازيّة، التخييّل.

Abstract

Deliberativeism is a new cognitive system in the field of linguistic studies and the humanities. As it is concerned with the study of the relationship of linguistic activity with its users, and thus the definition of deliberativeness is the study of language used and ongoing between conversationalists as opposed to studying linguistic systems that are covered by the science of linguistics.

(*) كلية الإمام الكاظم(ع) الجامعة/ قسم اللغة العربية/ فرع الأدب.

Later I came out in the book (How to Do Things with Words) looking at verbs of speech, and then his student (Searle) continued to do so.

As a result of this huge deliberative project, it is difficult to formulate a comprehensive, comprehensive definition, as there is a definition that (A.M. Diller and F. Recanati) came up with. And another definition was brought by (F. Jack) and deliberative in his study of language as a rhetorical, communicative and social phenomenon.

There is a definition of (L. Sves) and deliberative in it is the study or specialization that falls within linguistics, and is concerned with the use of language in communication.

It is clear that all the deliberative definitions are related to the idea of use, which may be repeated in all definitions in one way or another. As for the Arabic nomenclature for pragmatic, deliberative, utilitarian, instrumentalist, contextual, functionalist, polemical, discursive, intentional science, pragmatism, operative deliberation, pragmatism, discursive science, and use study.

research importance

This study shows that speech acts are one of the most important topics in the deliberative lesson as it is based on communicative evidence, which the speaker performs to accomplish a verbal action to achieve the effect on the recipient, and it is the one that contributes to moving from one situation to another in possible worlds, including factors of imagination and to achieve a purpose.

أفعال الكلام وخطاب التخييّل

إنّ مفهوم الفعل الكلاميّ من وضع (أوستن) وهي الفكرة الأولى التي نشـأت منها اللسانيات التداوليّة، ومن أهـم مراجعها، وترتبط العلاقة بين التخييّل السـرديّ ونظرية أفعال الكلام في الجهود التي قام بها (سيرل) و(جونات)، وعند (جونات) يكـون عمل التخييّل عملاً جدياً تماماً (محمد نجيـب العمامـي: ٢٠١٥:٣٥٢)، وإنْ كان مصطنعاً وغير صادق في خطاب التخييّل.

أوضح (جونات) أنّ هذه المسالة ((يبدو أنّها حُسِمت بشيء من السـرعة – وبصفة سلبيّة – على يد «سيرل «)) (الصادق قسومة: ٢٠١٤: ١٥٩) وانتقدهـا بطرق عدّة فـي كتابه (التخيّل والقول).

فقـد ذهب (سـيرل) إلى أنّ النـص التخيّلي يتضمن أعمالاً بالقول تختلف من حيث طبيعتها عن تلك الجارية في الخطابات الأخرى، فما يدور مـن إثباتات في القصـص المتخيّل، إنّما يندرج في المصطنع وغير الجاد والمزعوم، وقد أعاد (جونـات) النظـر في هـذا التعريـف التداوليّ للتخييّل، فأقرَّ الأعمال بالقول في النص التخيّلي أعمـالاً مصطنعـة مزعومة، وغيـر صادقة، كتلك التي تقوم بين الحيوانات في (كليلة ودمنة) ولكنّهـا أعمال تبطـن أعمالاً بالقـول جادّة في أعمال البشـر، التي ترمز إليها أعمال الحيوان (محمد القاضي وآخران: ٢٠١٠: ٧٧).

ويكـون هـذا التوجـه علـى كلّ النصوص التخييّليّة، من منطلق أنّ: ((النوع الوحيد مـن الخطاب الأدبـيّ يكون وصفـه المتضمن فـي القول خاصاً هـو إذن المتخيّـل القصصي (اللاشخصي) أما سائر الخطابات الأدبيّة فيمكن أن تتميّز بسـمات شـكلية وبسـمات وظيفية)) (الصادق قسومة: ٢٠١٤: ١٥٨).

ومفهـوم أفعال الكلام تداوليـاً: ((منبثق من مُنـاخ الفلسـفة التحليّلية بما احتوتـه من مناهج وتيـارات وقضايـا)) (مسـعود صحـراوي: ٢٠٠٥: ٧).

والعلاقة بيـن التداوليّة وأفعال الكلام، ومن ثـمّ ربطها بالتخييّل في درسـنا، يـكاد يوصفها (فان دايك) بقولـه: ((إنَّ النظرية التداوليّة تكاد تسـتلهم وجودها من المنطق؛ إذ تستنبط أساساً من فلسـفة اللغـة، ونظرية أفعـال الكلام بوجه خاص، ولذلك من ضروب تحليل الخطاب ومن الاختلافـات الثقافيّة فـي كل تفاعل كلاميّ كما هو ملاحظ في العلوم الاجتماعية)) (عبد القادر قنيني: ٢٠٠٠: ٢٥٥).

ولا تتحـدد العلاقـة بيـن الواقـع، والتخييّل فقـط فـي البعد المعرفـيّ الذي يمـرره خطاب التخييّـل، بل العلاقة بينهمـا تبقى وطيدة وعلى مسـتويات مختلفة، ومتداخلة، فالتخييّل يستلهم عوالمـه من الواقع بقصد إعادة بنائه في صورة يعتقد المرسل أنّها النموذج الذي يجب أنْ يكون عليـه، ومن ثمَّ فإنّ عوالـم التخييّل تتداخل فيها الكيانات التخييّليّة والكيانات الواقعية، فالتخييّل يحمل مشـروعيّة عبـر ما يحملـه من دلالات

إيحائية ضمنيّة حول الواقع، ويعتقد المرسل في صدقيتها؛ لإقناع المتلقي بجدواها وفاعليتها (سعيد جبار: ٢٠١٣: ٨٣).

إنَّ التخييّل الذي نروم مقارنته في هذه الدراسة هو المرتبط بالمحكيّات الوقائعية؛ لأنَّ وظيفة التخيَل هنا تكتسب خصوصيّة دلاليّة بما تضيفه على الأحداث والوقائع من دلالات ضمنيّة بعيدة عن دلالتها الطبيعية، والتي تستخلص عن طريق السياق العام الذي أُنتج فيه النص، وعند إنتاجه في زمن مغاير، وفي سياق (سوسير) ثقافيّ يكتسب دلالة جديدة ترتبط بهذا السياق، وقد تكون علاقة رابطة بين الدلالتين الأولى والآخرة، وهذه من أدوات التداوليّة التي تضمن العبور من الدلالة الطبيعيّة إلى الدلالة غير الطبيعيّة في النصوص التي نشتغل بها (سعيد جبار: ٢٠١٣: ٨٧) .

التخييّل والأفعال الإنجازيّة

قام (سيرل) بالتركيز في دراسته لأفعال الكلام على الأفعال الإنجازيّة الصريحة، والضمنية، وعلاقتها بخطاب التخييّل، وقد تضمنت (قصص المكائد) هذه الأفعال الإنجازية، مثل: شكر، وطلب، ورجا، ونصح، وأمر، وأتفق، ووعد، وهي أفعال إنجازيّة صريحة مباشرة، بقصد إنجاز فعل ما، وهذه الملفوظات الإنجازيّة من الجهة التداوليّة متلفظ بها لذاتها، مما يجعل لها القوة التي تولد عليها في تراكيبها؛ إذ إنّها ملفوظات إنجازية عبد القادر قنيني: ٢٠١٣: ٢٤٨).

إذن، فعل الكلام يراد به: ((الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد نطقه بمنطوقات معينة، ومن خلال منظومة من الأفعال كالنطقية والإنجازية والتأثيرية) (سعيد جبار: ٢٠١٣: ٢٢).

إنَّ تقسيم الأفعال الكلاميّة بحسب مقصد المتكلم مستفيداً من تقسيم (أوستن) و (سيرل) وممّا وضعه (سيرل) من تصنيف خاصاً بالأفعال الكلاميّة في اللغة العربية على النحو الآتي:

١- التوجيهات

وتختص هذه الملفوظات بـ: ((تعبير المتكلم عن رغبته في عمل ما ليس رهين إرادة المتلفظ)) عز الدين المجذوب وآخرون: ٢٠١٠: ٥٥). ويدخل في هذا الصنف الاستفهام، والأمر، والرجاء، والاستعطاف، والتشجيع، والدعوة، والإذن، والنصح.

والتوجيهات: ((هي أفعال الكلام تلك التي يستعملها المتكلمون ليجعلوا شخصاً يقوم بشيء ما، وهي تعبّر عما يريده المتكلم، وتتخذ أشكال أوامر وتعليمات وطلبات ونواهٍ ومقترحات، ويمكن لها أن تكون إيجابية، أو سلبية)) (قصي العتابي: ٢٠١٠: ٩٠).

ويمكن ذكر بعض الأمثلة لأفعال التوجيهات من قصص المكائد قوله:

((عرض شريح ناقته للبيع، فقال له المشتري: كيف غزارتها؟ قال: اجلب في أي إناء شئت!

قال: كيف وثاقتها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت!

قال: فكيف وطاؤها؟ قال: افرش ونم.

قال: كيف نجاؤها (سرعتها)؟ قال: هل رأيت البرق قط؟!)) (محمد إبراهيم سليم: ١٩٩٧: ٩٣).

نقف على بعض الملفوظات الإنجازية المباشرة لخطاب التخييّل (أجلب، أحمل، أفرش) عن طريق هذا الوصف السرديّ، والغرض الإنجازي لفعل الأمر محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء في المستقبل، ويكون اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، والغرض هنا للفعل الإنجازيّ هو توجيهه عن طريق الترغيب في شراء الناقة، والسارد هو الذي فتح أبواب القصة على عالم التخييّل، فهي أفعال قولية، لا تقل تأثيرها عن أي قول، أو فعل، أو حدث آخر في القصة، بل تُعدُّ هذه الملفوظات البؤرة التي قام عليها الحدث القصصيّ.

ومن الملفوظات التوجيهية الإنجازية، قول (الإسكندر) للفُرس:

((يا معشر الفُرس! قد علمتم ما كتبنا من الأمانات. فمن كان منكم على الوفاء، فليعتزل عن العسكر، وله منا الوفاء بما ضمناه)) (سيد كسروي حسن: ٢٠١٨: ١/ ٨٣).

فالمتلفِظ الإسكندر يريد حثّ الفرس على ترك معسكرهم، واتهام بعضهم بعضاً من أجل وقوع الاضطراب في جيش الفرس، ففعل الأمر: (ليعتزل) ملفوظ إنجازي وفيه إشارة ضمنيّة إلى تفريق صفوف الجيش.

ويعدُّ استدعاء المتخيّل للشخصيّة التأريخيّة الواقعيّة، أحد أساليب توظيّف التأريخ في القصة، حين يعمد إلى إحضار شخصيّات ذوات ثقل تأريخي إلى أرض عالم القصة.

يطالعنا أيضاً ملفوظ الأمر الإنجازي:

((كان أحد أولي الأمر قديماً كثير الشحم بديناً لا يقوى على القيام! فجمع الحكماء، وقال: احتالوا لي بحيلة، كي يخفَّ عن لحمي وشحمي هذا قليلاً، فلم تُفلح جهودهم! وذات يوم وفَد عليه رجل عاقل ممن لهم علم بطب النفوس وعلاجها!

فقال له: عالجني، ولك ما شئت من المال! فرد عليه قائلاً: أصلحك الله! أنا (طبيب منجم)، فدعني حتى أنظرَ في طالعك لأرى دواء يوافق حالتك! فلمّا أصبح، قال له: أطلب منك الأمان!؛ فلما أمنه، قال: رأيت طالِعَك يدل على أنَّه لم يبقَ من عمرك غير شهر واحد، فإنّ اخترت عالجتك؛ وإنَّ شئت معَرفة صدقِ ذلك فأحبسني عندك، فإنّ كان لقولي حقيقة فخلّ عني، وإلاّ فاقتصَّ مني وعاقبني! فحبسه عنده واحتجب هو عن الناس، وخلا وحده مغتَمَّاً حزيناً!

وكلما مضى يوم من الشهر، زاد هَمًا وغَمًا حتى هُزل جسمه، وخف لحمه وذاب شحمه! فلما لم يبقَ من الشهر إلاَّ يوم بعث إلى المنجم، فأخرجه من سجنه، وقالَ له: ما ترى؟

فقال المنجم: أعزك الله، وأطال بقاءك! أنا

أهون على الله مِنْ أنْ أعلمَ الغيب! والله إني لا أعلم عمري، فكيف أعلم أمرك؟! وإنما الأعمار بيد الله، ولا يعلم الغيب إلاَّ الله! ولكن لم يكن لك عندي دواء إلاَّ الغَمّ، ولم أستطع أنَّ أجلب إليك الغَـمّ إلاَّ بهذه الحيلة! فإنَّ الغَمّ يذيب الشـحم، فيقضـي على السـمنة! فأحسـن إليه، وذاق حلاوة الفرح بعد مرارة الغم)) (محمد إبراهيم سليم: ١٩٩٧: ٢٤)

لعلَّ تداخل الحوار، والوصف من أبرز ما يميّز هـذه القصة؛ إذ بـدأ الحوار وبملفـوظ إنجازي (احتالـوا لي بحيلة)، والغـرض الإنجازيّ منه هو التخلّص من الوزن الزائد، نتيجة لما أصابه من السـمنة المفرطة، وتمت الحيلة من الطبيب المنجـم عن طريـق الهمّ، والغم الـذي أصابه، بعـد إعطائه الضمانات من الطبيب (أحبسـني، إقتصَّ، عاقب) وهي أفعال إنجازية.

وقد أضفى التأثير المناسب على صورة الرجل البدين نهضت بالمتخيّل إلى مسـتوى في صنع موقفـاً منسـجماً مـع الحقيقـي إذ إنَّ: ((النص الأدبـي مزيج مـن الواقع وأنـواع التخييّل. لذا فهو يُوَّلد تفاعلاً بين المعطى والتخييّل) (رشـيد بنحدو: ١٩٩٢: ٩).

٢-التقريرات

وهـي الملفوظـات التـي ((تقـول شـيئاً ما عند شـيء مـا، وأنّها تحقق إخبـارا، وللإخبار صورتان: صـورة موجبة هي الإثبات وأخرى سـالبة هـي الإنـكار)) (عـز الديـن المجذوب آخـرون: ٢٠١٠: ٥٤). والأصـل فـي هـذه الملفوظات الخبريّة أن تكون مباشرة إنجازيّة.

والغـرض الإنجـازيّ فيها هـو نقل المتكلم واقعـة ما (بدرجات متفاوتة)، أي ربطه بصدق القضيـة المعبر عنها؛ إذ تدخـل في التقريرات كل الأفعـال الكلاميّـة التـي تحتمـل الصدق، والكذب، لكن الموقف النفسـيّ المعبر عنه عن طريـق التقريرات هو الظن، ويمكن أنْ تشـير التقريـرات إلـى اتجـاه المطابقـة - الكلمات – الواقع، فالكلمات يجب أنْ تطابق الواقع (سـعيد حسن بحيري: ٢٠١٢: ٨٨).

ومن الملفوظات التقريرية الإنجازية قولهُ:

((يحكى أنَّ الحَجَّاج خـرجَ يوماً متنزهاً، فلما فرغ من نزهته، انصرف عنه أصحابه، وانفرد بنفسـه، فإذا هو بشيخ من بني عجل فقال له: من أين أيها الشيخ؟

فقال: من هذه القرية!

قـال: كيف تـرون عُمّالكـم (القائمين بالأمر فيكم)؟

قال: شـر عمال؛ يظلمون الناسَ، ويستحلّون أموالهم!

قال: فكيف قولك في الحجاج؟

قال الشيخ: ذاك ما ولىّ العراق شر منه!

فقال الحجاج: أتعرف من أنا؟

قال الشيخ: لا.

قال: أنا الحجاج!

قال الشيخ: جُعِلت فداك، أوَ تعرف من أنا؟

فقال الحجاج: لا.

فقال الشـيخ: أنا فلان بن فـلان مجنون بني

عِجــلْ، أصَاب بالصَّرْع في كل يوم مرتين، فلا أعي ما أقول!)) (محمد إبراهيم سـليم: ١٩٩٧: ٦٦).

يأتــي ملفـوظ الفعـل (أصــاب) ملفوظــاً إنجازيّــاً، والغرض الإنجازيّ منه التخلص من بطش الحجاج عن طريــق الحيلة، فالملفوظات الإسميّة الســابقة يتّضح لنا أنّه ليس القصد منها التعارف الإسميّ، والإخبار فقط بين المتلفظين؛ وإنّمــا أراد الحجاج معرفة رأي الناس بالقائمين بالســلطة عبر رأي الشيخ (ذاك ما ولى العراق شــر منــه)؛ إذ تظهــر الملفوظــات الإنجازيــة عــن طريــق عمليــة التواصــل الحواريّــة بين المتخاطبيــن، ذلك إنّ أفعال الــكلام يتم تنفيذها بوساطة الأحداث التواصلية الفعلية.

إنَّ الرؤيــة الاجتماعيّة التي يقدمها الســارد فــي مخيّلته تحاول أن تُفســر العلاقة بين الفرد، والحاكــم، فقــد اعتمــد الســارد علــى الواقعية الاجتماعيــة فــي تســجيل الأحــداث، وتقديــم الشخصيات، بفنيّة معتمدة على الخيال.

ويماثل ذلك من الملفوظات التقريريّة الإنجازيّة قوله:

((مــر (بنــان) الطفيلــي بعــرس، فأراد الدخول، فلم يقدر! فذهــب إلى (بقال) فوضع خاتمه عنده رهناً، وطلب عشــرة أقداح وجاء إلى باب العريس فقال افتــح لي أيّها البواب! فقال البواب: من أنــت؟ قال: ألا تعرفني؟! أنا الذي أرسلوني لأشتري لهم (الأقداح) ففتح له البواب، فأكل، وشرب مع القوم، فلّما فرغ أخذ الأقداح معه ليعيدها إلى البقال فقال له البواب حين نظر إليها: ألم يعجبهم هذا الصنف؟ قال: بلى! إنهــم يريدون نوعاً آخر، وعاد إلى البقال واسترد خاتمه!)) (محمد إبراهيم سليم: ١٩٩٧: ١٣١).

يأتــي ملفــوظ (لأشــتري) ملفوظــاً إنجازياً وفيــه دلالة ضمنيّة برغبته في الأكل والشــرب مع القــوم عن طريق الحيلة برهــن خاتمه عند البقال، إنَّ ســرد قصص المكائد ليس يقصد بها فقط إلى تســلية القارئ، أو مجرد رواية أحداث حقيقيــة، أو تســجيل الوقائع يســمع بها، بل هو ضرب من الإخبــار الملتبس بالتخييّل، إذ يغدو الخبر مادة يتولاها الســارد بالصياغة والتشكيل الفنيين.

٣-الإعلانيات

هو الإعلان عن حدوث ظاهرة ما، والسمة المميــزة لهذا الوصــف من الأفعــال أنّ أداءها الناجــح يتمثل فــي مطابقة محتواهــا القضويّ للواقــع الخارجــي، والغرض الإنجــازيّ لهذه الأفعــال أنّها تحــدث تغيراً في الوضــع القائم، واتجــاه المطابقــة فــي أفعــال هــذا الصنف قد يكــون من الكلمات إلى العالــم أو من العالم إلى الكلمات، ولا يحتاج شــرط الإخلاص (محمود أحمد نحلة: ٢٠٠٢: ٨٠).

وتشــمل أفعــال البيــع، والشــراء، والهبة، والوصيــة، والوقــف، والإجــارة، والــزواج، والطلاق، وهذه الأفعال يقع الفعل بمجرد النطق بها.

ومـن الملفوظـات الإنجازيّـة قولـهُ: **((قال القاضي (أبو يوسـف) بقيت على باب الرشيد حـولاً لا أصلُ إليه حتى حدثت مشـكلة وذلك أن بعض أهلـه كانت له (جارية) فحلف أنه لا يبيعها إياه، ولا يهبها له!**

وأراد الرشيد شراءها، فلم يجد أحداً يفتيه في ذلك ...

فأقبل أبو يوسـف، فقال: المخـرج منها – يا أميـر المؤمنين – أن يهب لك نصفها، ويبيعك نصفها؛ فإنه لا يقع الحِنْـثُ)) (محمد إبراهيم سليم: ١٩٩٧: ٩٢).

تأتـي الملفوظـات الإنجازيـة فـي هـذه المكيـدة عـن طريـق (أن يهـب لـك نصفها) و(يبيعـك نصفهـا)، فهـي ملفوظـات إنجازية مباشـرة لخطـاب التخييّل، ويتضـح ذلك عبر سـياق القصة، وأن تحل ما يجـري من أحداث وشـخوص وحـوارات وأوصاف مهمـا كانت بسـيطة يعكس جوانب من التخييّل اللاشعوريّ فـي محتواها الباطن العميق، فيما قدمه القاضي (أبو يوسـف) من حيلـة (الهبـة) و (البيع)، إذ ربـط الحـدث المتخييّل، بصفة مـا، يهدف إلى تحقيق أكبر قدر من الواقعية إذ لا يلغي التخييّل الحقيقة.

ومن الملفوظات الإنجازيّة التي تطالعنا في قصص المكائد أيضاً قوله:

((فقد خطب النوار رجل من قريش، فبعث إلى الفرزدق تسـأله أن يكون وليَّها باعتباره ابن عمها!

فقال: إنَّ بالشـام من هو أقرب إليك مني، وما أنا آمن أن يقدم قادم منهم، فينكر؛ فاشهدي أنكِ قد جعلت أمرك إليَّ، ففعلت. فخرج بالشـهود، وقال لهم: قد أشْـهدتُكمْ أنّهـا قد جعلت أمرها لي، وأنا أُشـهدكم أني تزوجتها على مئة ناقة حمراء سـود الحدق...)) (محمد إبراهيم سليم: ١٩٩٧: ١٤٢).

يأتـي ملفوظ الفعل (أنـي تزوجتها) ملفوظاً إنجازيّـاً مباشـراً بمجرد نطق الفـرزدق (أني تزوجتهـا)، فقد أعلـن الزواج منهـا بعد الأخذ منهـا ولاية الأمر عن طريق الحيلة التي قام بها الفـرزدق: ((ولا يفهـم الملفوظ إلاّ في شـروط تكونـه، والجنـس الخطابـي الذي ينتمـي إليه، والذي يسـاهم بطريقـة أو بأخرى في تحديده)) (أم السعد: ٢٠١٥: ١٨٠).

٤-الوعديات

وهي أفعال كلاميّة يقصد بها المتكلم الالتزام طوعاً بفعل شيء للمخاطب في المستقبل إذ يكون المتكلـم مخلصاً في كلامـه، عازماً على الوفاء بما التزم به كأفعال الوعد، والوعيّد، والمعاهدة والضمـان والإنـذار، وأنَّ إتجـاه المطابقة في الوعديـات مـن العالـم إلـى الكلمـات، وهـذه المجموعة تشترك مع التوجيهات في ذلك، لكن المرجـع فيها مختلف فهو فـي الوعديات التزام المتكلم فعل شـيء في المستقبل، في التوجيهات التزام السـامع فعل شيء في المستقبل (محمود أحمد نحلة: ٢٠٠٢: ١٠٤).

والهـدف المتضّمن في القول للوعديّات هو

إلزام المتكلم بفعل شـيئاً ما في المسـتقبل اتجاه المتلقي، ويتعلق شرط الإخلاص هنا هو القصد (عز الدين المجذوب وآخرون: ٢٠١٠: ٧٦).

ومـن الملفوظات الإنجازيّـة المتضمنة في القول قوله:

((قال يموت بـن المزرع، عن المبرد: حدّثني أحمد بـن المعدل البصري قال: كنت جالسـاً عند عبـد الملك بن عبد العزيز الماجشـون، فجاءه بعض جلسـائه، فقـال: أعجوبة. قال: ماهـي؟ قال: خرجت إلى حائـط بالغابة، فلما أنَّ أصحرت وبعدت عن البيوت بيوت المدينة تعرض لي رجل، فقال: اخلع ثيابك. فقلت: وما يدعوني إلـى خلع ثيابي؟ قال: أنـا أولى بها منـك. قلت: ومن أين؟ قـال: لأنّي أخوك وأنا عريـان وأنت مكس. قلت: فالمواسـاة؟ قال: كلا قد لبسـتها برهة، وأنا أريد أنَّ ألبسها كما لبستها. قلت: فتعريني وتبدي عورتي. قال: لا بـأس بذلك قد روينا عن مالك أنّه قال: لا بأس للرجل أنَّ يغتسل عرياناً. قلت: فيلقاني الناس فيرون عورتي؟ قال: لو كان الناس يرونك في هـذه الطريق ما عرضت لك فيها، فقلت: أراك ظريفاً، فدعني حتى أمضي إلى حائطي وأنزع هذه الثياب، فأوجه بهـا إليك. قال: كلا أردت أنَّ توجه إليَّ أربعة من عبيدك، فيحملوني إلى السلطان، فيحبسـني، ويمزق جلدي، ويطرح في رجلـيَّ القيد، قلت: كلا. أحلـف لك أيماناً أني أوفي لك بما وعدتك ولا أسوءك. قال: كلا إنـا روينا عن مالك أنه قـال: لا تلتزم الإيمان التي يحلف بها اللصوص. قلت: فأحلف إني لا أحتال في إيماني هـذه. قال: هذه يمين مركبة على اللصـوص. قلت: فدع المناظـرة بيننا، فـوالله لأوجهـن إليـك هـذه الثيـاب طيبة بها نفسـي، فأطـرق، ثم رفع رأسـه وقال: تـدري فيم فكـرت؟ قلت: لا، قـال: تصفحت أمر اللصوص من عهد رسـول الله (صلى الله عليه وسـلم) إلى وقتنا هذا، فلم أجد لصَّاً أخذ تسـئمه، وأكـره أنَّ أبتدع في الإسـلام بدعة يكون عليه وزرهـا ووزر مَن عمل بها بعدي إلى يـوم القيامة. اخلع ثيابك. قـال: فخلعتها ودفعتهـا إليه، فأخذها وانصـرف)) (إبراهيم شمس الدين: ٢٠٠٢: ٢/ ٥٠٦).

يأتي ملفوظ الفعل (أحلف) ملفوظاً إنجازياً، وجـاء هنـا الفعل الإنجـازي (أحلـف) مكرراً للتأكيّـد على الوعد الذي قطعه على نفسـه، أي إلـزام المتكلم بعمل مـا في المسـتقبل، والفعل المتضمـن ان القول هنا الإيفاء بالوعد، واليمين الذي هو نوع من الترابط بين المتكلم والمتلقي.

إنَّ الحـدث قـد وظَّفه السـارد بالتخييّل عن طـرق أوضاع بعـض الطبقات المسـحوقة في المجتمع، وحلـم هذه الطبقة في اللباس، والأكل الجيد، وإنَّ ممارسة السرقة هو سلوك، وظاهرة اجتماعيـة، إلاَّ أنّ السـارد هنا يبنـي عليه عالم القصة والحدث المتخيّل.

ومـن الملفوظـات الإنجازيّـة المباشـرة للوعديّات قوله:

((قال داود بن الرشـيد: قلت للهيثم بن عدي:

بأي شـــيء استحق ســـعيد بن عثمان أنَّ ولاه المهـــدي القضـــاء، وأنزله منه تلـــك المنزلة الرفيعة؟ قال: إنَّ خبره فـــي أتصاله بالمهدي الطريف فإن أحببت شرحته لك!

اعلـــم أنَّ الربيع وافى الحاجـــب حين أفضت الخلافـــة إلى المهدي، فقال اســـتأذن لي على أميـــر المؤمنين. فقال له الربيع: من أنت؟ وما حاجتك؟ قال: أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين رؤيـــا صالحة، وقد أحببت أنَّ تذكرني له. فقال له الربيع يا هذا؛ إنَّ القوم لا يصدقون ما يرونه لأنفسهم فكيف ما يراه غيرهم لهم!

فأحتَـــلْ بحيلةٍ هي خير لك مـــن هذه! فقال له: إنَّ لم تخبره بمكاني ســـألت من يوصلني إليه، فأخبرتُه: أني ســـألتك الإذن عليه فلم تفعل... فقال له المهدي: هـــاتِ، بارك الله عليك! ماذا رأيت؟ قـــال: رأيت يا أمير المؤمنين آتياً أتاني فـــي منامي، فقـــال لي: أخبر أميـــر المؤمنين المهـــدي أنّه يعيش ثلاثين ســـنة في الخلافة، وآية ذلك أنه يرى في ليلته هذه في منامه كأنه يقلد يواقيت، ثم يعدهـــا فيجدها ثلاثين ياقوتة كأنها قد وهبت له! فقال المهدي: ما أحسن ما رأيت، ونحن نمتحـــن رؤياك في ليلتنا المقبلة على مـــا أخبرتنا به. فـــإنّ كان الأمر على ما ذكرت أعطيناك ما تريد، وإنّ كان الأمر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنـــا أن الرؤيا ربما صدقت، وربما اختلفت ... وأحلـــف له أني قد صدقت! ... فأنجز يا أميـــر المؤمنين ما وعدتني به)) (محمد إبراهيم سليم: ١٩٩٧: ١٠١/ ١٠٣).

نرى الملفوظات الإنجازيّة واضحةً في هذه المكيّدة عن طريق (أعطيناك ما تريد) و (أحلف له أني قد صدقت).

وهـــي ملفوظات إنجازيّة ألـــزم فيها المتكلم نفســـه بإعطاء ما يريـــد، وإنّ التلفظ بمتضمنات قوليـــة (أعطينـــاك)، و(أحلـــف) يدفـــع بالـــذات إلـــى إنفاذ الوعـــد، وتحقيق ما ألزم به بواســـطة الملفوظـــات الصريحـــة: ((فمعنـــى الكلمـــة في المعجـــم متعدد ومحتمل، ولكـــن معنى اللفظ في السياق الواحد لا يتعدد)) (تمام حسان: ١٩٩٤: ٣١٦). فالســـياق يمد المرســـل بأنواع الأساليّب التـــي تعبـــر عن القـــوة الإنجازيّة فـــي الخطاب السرديّ مما ينهض به اقعاً وتخييّلاً.

٥- التعبيرات:

وهي الأفعال الكلاميّة التي يعبر بها المتكلم عن مشـــاعره، وغرضها الإنجازيّ هو التعبير عـــن الموقف النفســـيّ تعبيراً يتوافر فيه شـــرط الإخلاص، وليـــس لهذا الصنف اتجـــاه مطابقة فالمتكلـــم لا يحـــاول أن يجعل الكلمـــات تطابق العالـــم الخارجـــيّ ولا العالم الخارجـــيّ يطابق الكلمـــات. وكل مـــا هو مطلـــوب الإخلاص في التعبيـــر عن القضيّـــة ويدخل في هـــذا الصنف أفعال: (الشـــكر والتهنئة، والاعتذار، والتعزية، والترحيـــب، والرضا، والغضب، والســـرور، والحـــزن، والنجاح، والفشـــل) (محمـــود أحمد نحلة: ٢٠٠٢: ٨٠).

ومن الملفوظات التعبيرية الإنجازية:

((كانت أم ســـلمة بنـــت يعقوب بـــن عبد الله

المخزومي زوجة لأبي العباس السفاح. وكان يحبها حباً شديداً...وفي أحد الأيام خلا به خالد بن صفوان، ودار بينهما حديث قال فيه: يا أمير المؤمنين، لقد فكرت في أمرك، وسعت ملكك، وأنك قد ملكتْ نفسَك امرأةٌ، واقتصرت عليها! فإذا مَرِضتْ مَرِضتَ، وحرمت نفسك التلذذ بالسراري، واستظراف الجواري، ومعرفة اختلاف حالاتهن، وأجناسهن للتمتع بما تشتهي منهن! يفتن بحلاوتهن! ولو رأيت يا أمير المؤمنين السمراء واللعساء، من مولَّدات البصرة والكوفة، وذات الألسن العذبة، والقدود المهفهفة، والأوساط المخصرة ... ولم يزل خالد يجيد في الوصف ويكثر في الإطناب بحلاوة لفظه وجودة كلامه! فلما فرغ قال له أبو العباس: ويْحَكَ، والله ما سلك مسامعي كلام أحسنُ مما سمعت، فأعِدْه عليّ! فزاد فيه، وأجاد وأبدع، ثم انصرف خالد، وبقي أبو العباس مفكراً مغموماً مهموماً! فدخلت عليه أم سلمة، وكانت تَبَرُّهُ كثيراً، وتتحرى مسرته، وموافقته في جميع ما أراد! فقالت له: مالي أراك مغموماً يا أمير المؤمنين؟! هل حدث أمر تكرهه، أو أتاك أمر روعك وأزعجك ؟! قال: لم يكن شيء من ذلك!

قالت: فما قصتك؟ فجعل يكتم عنها، ويخفي في نفسه ما قال له خالد! فلم تزل به حتى أخبرها بمقالته! فقالت له: فما قلت لهذا الأحمق ؟! قال: سبحان الله، ينصحني وتشتمينه!

فخرجت من عنده، وهي تفكر في حيلة تعلم خالداً ما يقال وما لا يقال بين يدي امير المؤمنين! وقررت أن ترسل إلى خالد بعض عبيدها، وأمرتهم بتأديبه، والتنكيل به ليكون ذلك موعظة له، وعبرة لغيره، وليتعلم كيف يمسك عليه لسانه)) (محمد إبراهيم سليم: ١٩٩٧: ١٣٨).

نرى الملفوظات الإنجازية في هذه المكيدة (هل حدث أمر تكرهه) و (أزعجك) ملفوظات إنجازية تدل على الحزن، فالغرض الإنجازي لهذه الأفعال يكمن في التعبير عن الموقف النفسي وهو الحزن، وكأن التعبير بؤرة دوامة تجتذب نحوها المحيطين بها، لتطلق بعدها أكبر قدر ممكن من القوة الإنجازية للتأثير، ونرى الحيلة التي قامت بها زوجة أبى العباس السفاح عن طريق التنكيل بـ (خالد بن صفوان) حتى يمسك لسانه عند السفاح، ويرجع إلى عقله، ويقول بما ترغبه زوجة السفاح.

نستنتج مما سبق أنَّ الاتجاه التداولي ينصب اهتمامه على البعد الاستعمالي والانجازي للكلام والخطاب، آخذاً بالاهتمام كلاً من المتكلم والسياق الذي ورد في الخطاب، لذا تعد التداوليّة نظرية استعمالية وتخاطبية، من حيث تركيزها على اللغة في استعمال المتكلمين لها.

ويعد الفعل الكلامي من أهم المباحث في الدرس التداولي حيث يقوم على بنية تواصلية، يقوم فيها المتكلم إلى إنجاز فعل قولي لتحقيق التأثير في المتلقي، فقد عرفه (فان دايك) بأنّه ((كلّ حدث حاصل بواسطة الكائن الإنساني))

(عبد القادر قنيني: ٢٠٠٠: ٢٢٨) وهذا الحدث هو الذي يساهم في الانتقال من موقف إلى آخر في عوالم ممكنة، ومنها العوالم التخيلية لتحقيق غرض ما.

الخاتمة

إنّ وظيفة السرد هي نقل المعرفة وتصوير السياق الحضاري الاجتماعي للعصر الذي أنتج فيه الخطاب، وكذلك الإسهام في تأديب هذا الخطاب وجعله أكثر تخيلاً، وقد تجلى ذلك عبر المحاور المتقدّمة من الأفعال الكلاميّة المتخيّلة من التوجيهات، والتقريرات، والإعلانيّات، والوعديّات، والتعبيرات، وسنعرج في المبحث الآتي على الإحالة، ودورها في قصص المكائد.

المصادر والمراجع

- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (خيَّلَ)، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ٢٠٠٤.

ابرنار فاليط، لنص الروائي تقنيات ومناهج، ترجمة: رشيد بنحدو، منشورات ناذان، باريس، ١٩٩٢.

أم السعد، تداولية الخطاب الروائي (من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ)، دار كنز المعرفة، عمان، ط١، ٢٠١٥.

تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٤.

جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: عز الدين المجذوب وآخرون، المركز الوطني للترجمة، ٢٠١٠.

جون أوستن، نظرية أفعال الكلام، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩١.

جيوفري ليتش، مبادئ التداولية، ترجمة عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠١٣.

سعيد جبار، التخييل وبناء الأنساق الدلالية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٣.

سعيد جبار، من السردية إلى التخيلية، منشورات ضفاف، بيروت، ط١، ٢٠١٣.

صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصيّ بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠.

عمرو بن بحر الجاحظ، تنبيه الملوك والمكايد، تحقيق: ياسر محمد ياسين وعباس فاضل رحيم ومحمد كريم محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

فان دايك، النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

محمد إبراهيم سليم، الحيل والمكائد في دنيا الرجال وعالم النساء، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٧.

محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠١٠.

محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢.